دويلات المدن السومرية– العصر السومري الحديث(امبراطورية اور الثالثة)

ظهرت أولى السلالات السومرية التي شكلت أنظمة سياسية في كل مدينة من مدن سومر عرفت باسم (دويلات المدن السومرية) ، حيث توسعت المدن إلى مدن كبرى ، وبرزت فيها سلالات حكمت هذه المدن ، وأصبحت كل مدينة وحدة سياسية مستقلة بذاتها ، وحكم هذه المدن في أدوارها الأولى كاهن المعبد (اين) الذي جمع ما بين السلطتين الدينية والدنيوية ، ثم وبعد اتساع المجتمع وتطوره وتطور نظام الحرب انفصلت السلطتين ، فأصبح حاكم دولة المدينة يلقب بلقب (انسي) أي (حاكم) ، وكانت الكثير من هذه الدويلات متعاصرة ، ويغلب عليها التنافس والنزاع من أجل التوسع أو السيطرة على التجارة والطرق التجارية ، وتنشأ أحياناً نتيجة توسع دويلة على دويلة أخرى مملكة أكبر يلقب حاكمها بـ(لوكال) أي (الملك) أو (الرجل العظيم) ، وكان (لوكال زاكيزي) أول ملوك سومر ٠

أما تسمية (سومر) (كي ان جي) فهي على الأرجح اسم يطلق على جنوب العراق ، وقد سمي سكان هذا القسم بالسومريين نسبة له ، والسومريون يعدون من أقدم الشعوب العريقة التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في تاريخ الإنسانية عموماً ، وفي تاريخ جنوب بلاد ما بين النهرين بصورة خاصة ، وأول ذكر للسومريين وبلاد سومر ورد في اللقب المزدوج للملوك والحكام ، وأقدمها لقب الملك (اوتو حيكال) إذ جاء على هيئة : (لوكال كي ان كي اوري) أي (ملك سومر وأكد) ، واستمر استعمال هذا اللقب في كل عهود العراق ٠

اختلف الباحثون في أصل السومريين فيما إذا كانوا من بلاد ما بين النهرين أم أنهم هاجروا من مناطق أخرى ، والرأي الأرجح هو أن السومريين هم سكان بلاد ما بين النهرين الأوائل ، وربما يكونوا قد انتقلوا من مناطق شمال بلاد ما بين النهرين إلى الجنوب بعد أن أصبحت الظروف ملائمة للعيش في الجنوب ، واستوطنوا منطقة تبدأ من مدينة الديوانية إلى أقصى جنوب بلاد ما بين النهرين ، ويجاورهم في شمال هذه المنطقة الأكديون الذين ينتمون إلى القبائل الجزرية التي نزحت من شبه جزيرة العرب واستوطنت بلاد ما بين النهرين في وقت مبكر جداً ، وغير أننا لا نجد فرقاً عرقياً بين السومريين والأكديين وغيرهم من الأقوام الأخرى ممن سكن بلاد ما بين النهرين إلا من حيث اللغة ، فاللغة السومرية لا تنتمي إلى أي من مجاميع اللغات المعروفة كمجموعة اللغات الهندو–أوربية أو مجموعة اللغات الجزرية (السامية) ، فهي تشكل مجموعة مستقلة بحد ذاتها ، وعدت اللغة السومرية من ضمن اللغات اللصيقة ، حيث تجمع الأسماء والصفات أو الأفعال لتكون أسماء أو مصطلحات جديدة ، مثلاً : (لوكال) تعني (الملك) تتألف من (لو = رجل)و (كال = عظيم) ، و (آن كي) تعني (الكون) وتتألف من (آن =السماء)

و (كي = الارض) ، و (اي كال) تعني (القصر) وتتألف من (اي = البيت) و (كال = عظيم) ، و (دب سار) تعني (كاتب) وتتألف من (دب = لوح طيني) و (سار = كَتَبَ)، وهكذا ٠

في حين أن اللغة الأكدية تنتمي إلى مجموعة اللغات الجزرية ، وسكان بلاد ما بين النهرين ينتمون إلى خليط من عرق البحر المتوسط الذي يتميز بجمجمته الطويلة ، ومن عرق أوربا الوسطى وبلاد أرمينيا الذي يتميز بجمجمته المستديرة ، فضلاً عن أن المكتشفات الأثرية في المدن السومرية أثبتت أن السومريين والأكديين مارسوا جميعاً أنظمة سياسية وأعراف وعادات وتقاليد اجتماعية متشابهة ، وهذا ما يشير إلى كونهم جزء من حضارة نشأت وازدهرت في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين ، ويقصد بالسومريين الأقوام التي تكلمت اللغة السومرية ، والأكديين الأقوام التي تكلمت اللغة الأكدية ، ويميز الباحثون منحوتات السومريين من غيرهم من خلال بعض المظاهر الجسدية كحلق الرؤوس وحلق الشوارب وإطلاق اللحى وشكل الأنف ، وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الهيئات تشير إلى طبقة الشخص الدينية أو السياسية أو الاجتماعية ٠

تعد الكتابات التي تركها أمراء هذه السلالات وجداول الملوك السومريين والنصوص الأدبية التي تركها السومريين أهم مصادر معلوماتنا عن السومريين ، إذ تذكر جداول الملوك السومريين أن الملوكية نزلت من السماء لأول مرة في مدينة (أريدو) (تقع بالقرب من أور في محافظة ذي قار) ، ثم جاء الطوفان العظيم الذي غمر الأرض ومن عليها بأستثناء رجل الطوفان الذي يسميه النص السومري (زيوسدرا) وفي النص البابلي (أوتنابشتم) ٠

ويعطي كتبه جداول الملوك السومريين أسماء ثمانية ملوك حكموا بلاد سومر قبل الطوفان بفترات حكم خيالية ، إذ تصل مدت حكمهم إلى (٢٤١٢٠٠سنه)، مما يشير إلى جهل هؤلاء الكتبة بأسماء باقي الملوك الذين حكموا قبل الطوفان ، لذا اضطروا إلى تطويل سنوات حكم هؤلاء الملوك الثمانية ليغطوا الحقبة الزمنية السحيقة التي سبقت الطوفان ، وربما كان وراء ذلك فكرة كانت شائعة بين الأمم القديمة مفادها أن الإنسان في قديم الزمان كان يمر طويلاً ويتمتع بصفات جسدية خارقة ، كما تشير هذه الجداول إلى أن الآلهة تحكم البشر وإنها فوضت الملوك للحكم بدلاً عنها ، وتشير هذه الجداول أيضاً إلى أن كل مدينة كان لها جيشها الخاص المجهز بالعربات ذات العجلات الصلدة والتي تجرها الحمير الوحشية ، والمسلح بالرمح والسيف المقوس نوعاً ما أو على شكل ورقة شجر ، كما جهز الجنود بالدروع والخوذ المعدنية ٠

ودويلات المدن السومرية شيدت بالقرب من الأنهار الرئيسة أو فروعها ، وهذه الدويلات كثيرة ومتقاربة ، وعدد نفوسها كبير نسبياً ، ومحاطة بأسوار ، والمدينة الكبيرة تسمى باللغة السومرية

(اورو) ، وبالأكدية (آلو) ، وتتكون المدينة من ثلاثة أقسام : القسم الأول يكون داخل السور ، وفية قصور الحكام والمعابد الرئيسة وبيوت أصحاب الحرف ، القسم الثاني (كار بار را) يكون قرب السور وفيه مساكن الفلاحين وحظائر الماشية والمعبد المخصص لاحتفالات رأس السنة ، والقسم الثالث (كار) ويعني الميناء وفيه ميناء المدينة ومركزها التجاري ومستودعات البضائع وخانات لإيواء التجار ، وكان اقتصادهم يقوم على الزراعة وتربية المواشي والتجارة ٠